الظُّلم في القرآن الكريم
(دراسة نحوية دلالية)

د. نوال كريم زرزور

Injustice in the Noble Qur'an a semantic grammatical study

Dr. Nawal Kreem

١٤٤٢هـ ٢٠٢١م

المقدمة

الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد وهدانا بنور القرآن الكريم الكتاب العربي المبين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه الميامين وبعد فهذا البحث يتناول دراسة الظلم دراسة نحوية دلالية وقد تم تقسيمه على وفق أنماط التراكيب النحوية الآتية:

١. الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول بصيغتيه (الماضي والمضارع) فكثيرا ما تتغير دلالات الفعل الزمنية والمعنوية عندما يأتي صلة الموصول أو عندما يقترن بالأدوات والحروف مثل (لا، لن، ما، إذ، قد، لما) .

٢. المصدر وما للسياق بنوعيه (اللغوي والظرفي) من أثر مهم في تحديد المعاني الوظيفية التي يؤديها والتي سنلاحظها من خلال تحليل بعض الآيات القرآنية وفي الحالات الثلاث (رفع، نصب، جر).

٣. دلالات الاستعمال القرآني لما ورد من الجذر (ظ، ل، م) على وزن فاعل جاء معرفاً ب (ال) ومضافا.

٤. صيغ المبالغة ودلالة ما ورد من صيغ للجذر واختتمت هذه الدراسة بخاتمة فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

والحمد لله أولاً وآخراً ..

Abstract:

Praise be to Allah Who made us the ways of right and guided us via the light of the Glorious Quran, the Arabic Book, and blessings and peace be upon the Prophet and his family and companions. This research deals with the study of the verb (ظلم) (oppress) semantically and syntactically. It is divided in accordance with the following grammatical structures:

1-the active and passive verbs in forms of (past and present), the time reference and meaning of the verb often change when there is a relative clause or when it combines with particles like (لما ,قد, إذ, ما,لن, لا ,)

2-the base form of the verb and the effect of both co-text and context in determining the functional meaning as we shall see through the analysis of some Quranic verses in three cases: nomi-

native, accusative and jussive

3- the denotation of the Quranic use of the stem (م,ل, ظ) rhyming with (fa'il) as it is used with the definite article (ال) and added to other structures

4- exaggeration formulas and the denotation of the stem of the verb

This study is concluded with the results arrived at by the researcher and a list of references. Praise be to Allah first and foremost.

❊ ❊ ❊

• **فعل (الظلم):**

تراوحت صياغات الفعل بين الماضي والمضارع ولم يأت الأمر البتة كونه غير متناسب مع ما هية الدلالة المعنوية لـ(الظلم) إذ لا يمكن أن يؤمر شخص بالظلم حتى وإن كان الآمر ظالما .

ورد الفعل (١١٠) مائة وعشر مرات . مجردا (ظلم - ظلمت - ظلمتم - ظلموا - ظلمونا – يظلم - يظلمون - تظلمون - تظلم) منها (٢٥) خمس وعشرين مرة جاء بصيغة المبني للمجهول أي ما نسبتهُ قرابة ربع المجموع والمعروف أن المبني المجهول في لغة العرب يأتي أقل مما هو للمعلوم لأن الأصل أن يجيء الفعل معلوماً وهو المعول عليه، أما إذا بُني للمجهول فالقصد خاص يراد منه معان بعينها، وهو من الأفعال المتعدية وقد يتعدى إلى مفعولين أولهما مباشر وهو ما يقع عليه فعل الفاعل والثاني غير مباشر أي لا يقع عليه فعل الفاعل مباشرة ولكنه قد يكون علة أو أداة له من خلال حرف الجر ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾[١]، فهناك مفعول وحرف جر محذوفان فقد يكون التقدير ظلمتم حقوقكم من أنفسكم ثم صُيّر إلى الإطلاق بالحذف للتنبيه على ظلم النفس وجاءت الباء للدلالة على أداة الظلم (اتخاذ العجل) وقد تكون الباء هنا سببية فيكون معنى الظلم مجردا اخذ من النقص او السلب المادي بمعنى الجور ضد العدل، جاء عن ابن منظور: يقال ظلمني حقي على معنى سلبني، منه قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [٢] عداه الى مفعولين؛ لأنه في معنى يسلبهم[٣]. سنبدأ أولاً بالفعل المبني للمعلوم لنتدبر من خلال تحليل الآيات الدلالة الواضحة ماأستطعنا الى ذلك سبيلاً .

١. الفعل الماضي:

الفعل الماضي يدل على التاكيد والحصول لأن الحدث حصل وانقضى فاكدته بالأخبار وقد عرفه النحاة بأنه (اللفظ الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك أي قبل زمان إخبارك)[٤].

والحقيقة أن الجملة الفعلية المصدرة بفعل ماضٍ قد لا تدل على الماضي بأصلها أو على الحال والاستقبال أو على الإطلاق، فللفعل الماضي أزمان متباينة فقد يكون ماضياً بعيداً أو قريباً. بحتمية القرائن اللفظية له (قد، إذ، إذا، ما، لا) وبحسب احوال المتكلم، قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ

(١) سورة البقرة (٥٤).
(٢) سورة النساء (٤٠).
(٣) ينظر لسان العرب (٦/ ٢٦، ٢٣).
(٤) شرح المفصل (٤١٧) .وينظر االكافية في النحو.

إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[1] فقد حصل الحدثان (القول) و (الظلم) في الزمن الماضي ولكن حدوث الظلم حصل قبل حدوث القول وقد افتتح بحرف التاكيد (إنَّ) للدلالة على علّو شأن ما سيخبر عنه وللإشعار بأن عبادة العجل كل الظلم وإن من ارتكبها لم يترك شيئا من الظلم فدل الفعل (ظلم) على حصول الحدث وتحققه والمعنى: إنكم أضررتم بأنفسكم ووضعتم العبادة في غير موضعها[2] . واستغنى بالجمع القليل (أنفسكم) عن الجمع الكثير (النفوس) والذي عليه السياق أنه عز وجل أمر كل واحد من أولئك التائبين أن يقتل بعضهم بعضاً فالأنفس هنا بمعنى المثل والنظير، ومثلها قوله عز وجل ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[3]، أيّ ليسلم بعضكم على بعض وقوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴿١٢﴾﴾ [4] بأنفسهم خيراً أي بأمثالهم من المسلمين[5] .

والملاحظ أن (نفس) لم ترد جمع الكثرة في القرآن إلاّ في موضعين:

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴿٧﴾﴾[6]، و﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾[7] وفسرت بمعنى الروح في آية التكوير وبمعنى ضمائركم في اية الاسراء [8].

جاء الفعل صلة للاسم الموصول (الذي) في مواضع كثيرة ومن المعروف أن جملة الصلة لابد أن تكون جملة خبرية تامة المعنى مفيدة فائدة يحسن السكوت عليها، والاسم الموصول الذي يقوم مقام (ال) فكما أن (ال) تدخل على المفرد وتؤثر فيه التعريف تدخل (الذي) على الجملة فهي أداة يتوصل بها إلى التعريف تمهيدا لذكر الخبر،قال تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴿١٦٥﴾﴾[9].

الآية في وصف حال الكافرين يوم الحساب الذين اتخذوا من دون الله انداداً فكان التهديد والوعيد (وَلَوْ يَرَى الذين ظَلَمُوا) ولم يقل (يروا) حيث وضع الظاهر موضع الضمير للتفخيم والتعظيم والتخصيص والدلالة على أن

(١) سورة البقرة (٥٤).
(٢) ينظر مجمع البيان (١٦٦\١١) .
(٣) سورة النور (٦١)
(٤) النور (١٢)
(٥) ينظر التفسير الكبير (٣/ ٨٢) .
(٦) سورة التكوير (٧)
(٧) سورة الاسراء (٢٥)
(٨) ينظر التفسير الكبير : ٩٠/٥
(٩) سورة البقرة (١٦٥)

ذلك الاتخاذ ظلم عظيم وأنّ اتصاف المتخذين به أمر معلوم [١].

وجاء بـــ(لو) و (إذا) المختصتين بالماضي لتقريب الحدث وتأكيد تحققه، أي أن هذا اليوم قريب وأنكم معذبون لا محالـــة، يقول الرازي (كل ما كان قريب الوقوع فانـــه يجري مجرى ما وقع وحصل) [٢]. ونظير هذه الآية قوله عز وجل ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ٨٥﴾[٣]، فجاء بالفعل بصورة الماضي (رأي الذين ظلَمُوا) والمراد المســـتقبل للدلالة على التأكيـــد وتحقق الحصول. وقال تعالى في موضع آخر ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾[٤]، وأنت في آية أخرى ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾[٥].

فالآيـــة الأولى في قوم صالح وكان ظلمهم اشراكهـــم بالله وعدم امتثالهم لإمره تعالى بعقر الناقة فدل الفعل هنا على التحقيق وبسبب ذلك أخذتهم الصيحة، وجاءالأسم الموصول اشعاراً بأن هناك من نجا من الهلاك بشاهد الآية التي قبلها، وذكر الصيحة على معنى الصياح وهو الصوت الصادر من الســـماء الخارق للعادة فلما سمعوه اصبحوا موتى جاثمين وقـــدم المفعول للتخصيص والحصر، أما الآية الثانية فأنث الفعل على اللفظ، وفي موضع آخر يقول جـــل وعلا في صفة بني اسرائيل ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ٥٩﴾ [٦]، فجاء بالفعل صلة (الذين ظلموا) ولم يقـــل (الظالمون) لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاســـتمرار ويفهم منه أنهم قد ظلموا كثيراً وهم مســـتمرون في ظلمهم، وكرر الاسم الموصول مـــع صلته بعد تمام الكمال ولم يقل (فأنزلنـــا عليهم) مبالغة في تقبيح أمرهم وإيذاناً بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم [٧]. والفعل هنا يتحمل الزمن الماضي والمســـتقبل فقد يكون المعنى واللـــه أعلم أنهم عصوا الله بتبديل القول في الدنيا وظلموا انفسهم في الآخرة لأنهم سينالون العقاب، إذ قرن الظلم بالفعل المضارع (يفسقون) أي بسبب فسقهم المســـتمر. وقد سبقت الاسم الموصول وصلته أداة الاستثناء (إلاّ) في قوله تعالى ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ١٤٩﴾.

(١) ينظر روح المعاني : (١/ ٥٩١)
(٢) التفسير الكبير (١/ ٢٣٦)
(٣) سورة النحل (٨٥)
(٤) سورة هود (٦٧)
(٥) سورة هود (٩٤)
(٦) سورة البقرة (٥٩.)
(٧) ينظر التفسير الكبير (١/ ٩١)

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾[١].

فالأستثناء متصل والمعنى: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم حجة إلاّ الذين ظلموا انفسهم بالعناد، فإن من اليهود من يقول: ما تحول الكعبة إلا ميلاً لدين قومه وحباً لبلده، وقُرئت (إلاّ) بفتح الهمزة وتخفيف اللام وهى على هذه القراءة للتنبية والاستفتاح فيكون الذين ظلموا مبتدأ،وجملة (فلا تخشوهم) في موضع الخبر [٢]، والفعل الماضي الواقع صلة دلّ على المستقبل كأنه قال من يظلم من الناس فلا تخافوا مطامعهم في قبلتكم .

واقترن الفعل الماضي بلفظة (النفس) قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[٣] والملاحظ أن النفس إذا تأخرت عن الفعل فتحت أملاً للمغفرة كما في الآية السابقة، فهنا إقرار ظلم الإنسان لنفسه وتخفيف من تداعيات الظلم حتى وإن جاءت اللفظة في موطن سلبي فهي تخفيف وفتح رحمة ليلتمس طريقاً للمغفرة ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [٤] .

أما إذا تقدمت (نفس) على الفعل فتكون مع العذاب المهين يوم الآخرة ويدخلها الجزاء العادل، فالمشركون الذين ختم الله على قلوبهم وسلبت ملهم الرحمة لاطريق لهم إلا جهنم، يقول عز وجل ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ﴾[٥]، وورد الفعل مسبوقا بـ(قد) في ثلاثة مواضع وهذا الحرف يفيد تقريب الماضي من الحال وتوقع حصول الخبر [٦]، فلا يخفى مافيه من توكيد للفعل ولذلك قال سيبويه:(وأما قد فجواب لقوله ما يفعل فتقول: قد فعل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾[٧][٨]. فالفعل (ظلم) في صورة الماضي ولكنّه دلّ على الإستقبال لاقترانه بالشرط وبـ(قد(التي ازاحته عن الماضي البعيد لتقربه من الحال فالظلم لم يحصل بعد وهو مقّيد بتعدي الحدود فمن

(١) سورة البقرة (١٥٠)
(٢) ينظر روح المعاني (٢/ ٥٦٨)
(٣) النمل (٤٤)
(٤) الاعراف (٢٣)
(٥) يونس (٥٤)
(٦) ينظر شرح الرضي (٦/٤)، وشرح المفصل (٨/ ٤٧)
(٧) سورة الطلاق (١)
(٨) الكتاب (٣/ ٥٠)

تعداها فقد عرض نفسه للضرر والعقاب . ومثلها في البقرة (٢٣١(.

واقترن بـــ(إذ) في موضعين أولهما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾[١]، والثانية ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾[٢]، فالآية الأولى في صفة المنافقين الذين احتكموا إلى الطاغوت وفروا من التحاكم إلى رســول الله ﷺ، نلحظ أن الفعل قُيّد بــ(إذ) وهي عند جمهور النحويين ظرف لما مضى في أصل وضعها[٣]. فيكون المعنى لو أنهم وقف ظلمهم وهو احتكامهم إلى الطاغوت جاؤوك فاســتغفروا لوجدوا الله قابلاً لتوبتهم[٤]، ولكن هــذا لم يحدث لذا جاءت لو الشرطية الامتناعية أي أن شرطها بعيد الوقوع، يقول أبو البقاء (الأصل في فرض المحالات كلمة (لو) دون (ان) لأنها لما لاجزم بوقوعه ولا وقوعه والحال مقطوع بلا وقوعه.[٥]، فيكون التقدير والله اعلم: لو وقع مجيئهم وقت ظلمهم، أما في آية الزخرف فقد اختلف في تفســيرها واستشــكلها بعضهم من حيث أن (إذ) ظرف لما مضى من الزمان فكيف تكون بدلاً من (اليوم) وهو زمان المســتقبل المســبوق بفعــل دال على زمنه لإقترانه بـ (لن) فمنهم من جعلها لمطلق الوقــت، يقول أبو حيان (لا يجوز البدل على بقاء إذ عــلى موضعها من كونها ظرفاً لمــا مضى من الزمان فإن جعلت لمطلق الوقت جــاز)[٦] وقال بعض النحويين إنها قد تقع للاستقبال مســتدلين بقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِــلُ يُسۡحَبُونَ ٧١﴾[٧]، وقوله جل ثناؤه: ﴿يَوۡمَئِــذٖ تُحَــدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤﴾ [٨] جاء عن ابن جني قولــه: راجعت أبا علي في هذه (الإبــدال المذكور) وآخر ما تحصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله سبحانه وعلمه جل ثناؤه إذ لا يجري عليه عز وجل زمان فكان إذ مســتقبل أو اليوم ماضٍ فصح ذلك)[٩] وربما تكون إذ هنــا للتعليل بمنزلة اللام وهذا ما يقرره النحاة، جــاء في شرح الرضي (وتجيء إذ للتعليل نحو جئتك إذ أنت كريــم أي لأنك.....)[١٠] فيكون المعني: لن ينفعكم

(١) سورة النساء (٦٤)
(٢) سورة الزخرف (٣٩)
(٣) ينظر شرح الرضي (٣/ ٢٠٠)
(٤) ينظر التفسير الكبير (٩/ ١٦٢)
(٥) الكليات (٥١)
(٦)" البحر المحيط :١٤/٨
(٧) سورة غافر (٧١)
(٨) سورة الزلزلة (٤)
(٩) ينظر المحتسب :٥٥/١.
(١٠) شرح الرضي : ٢٠١/٣

اليوم اشـــتراككم في العذاب لظلمكم في الدنيا لأنّ لكل واحد نصيبه الأوفر فقـــد منع الله تعالى أهل النار التأسي كـــما يتأسى أهل المصائب في الدنيا فيُســـكن ذلك من جزعه [١]، واقترن الفعـــل بـــ(لمّا) في موضعين أولهما في قوله تعالـــى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُـــلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡـــزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ١٣﴾[٢]، والثاني في قوله عز وجل ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُـــرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا٥٩﴾ [٣]، والسياق واحد في الآيتين وهو أن اصحاب القرى الأولين عاد وثمود وقد دل الفعل على زمن الحال لأن (لمـــا) الظرفية بمعنى (حين) متعلقـــة بأهلكناهم ولما فيها من رائحة الـــشرط والمعنى:انما كان هلاكهم وقت فعلهـــم الظلم بالتكذيب والضلال وهو كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّـــا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[٤]، أي حين رأوا العذاب وهم لم يروه بعد.

وقال قســـم من النحاة بحرفيتها مثل (لو) واســـتدل على أن علة الإهلاك الظلم والظرف لا دلالة له على العلية، يقـــول الرضي (وانما يكون مثل . . . كلو إلا أن لو لانتفاء الأول لانتفاء الثـــاني ولمّا ثبوت الثاني لثبوت الأول)[٥]، وعلى هذا ربما لا نستطيع توجيه المعنى بأن الهلاك قد ثبت لثبوت ظلمهم [٦]، وجمع بين صيغتي الماضي المنفي بـ(ما) والمضارع المقترن بـــ(كان) في خمســـة مواضع، يقول جل وعلا في مخاطبـــة اليهود لارتكابهم القبائح من اتخاذهم العجل وســـؤال رؤيته تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَـــهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [٧] فقد عبّر عـــن نفي الظلم لذاته عز وجل بـــــ(مـــا) وهي أقوى الأدوات في الدلالة على النفي مصاحبة لفعل ماض في اللفظ ولكنـــه دال على الزمن المطلق فالله لم يَظلم في حال من الأحـــوال ولا في زمن من الأزمان ولم يظلم أصلاً، يقول الجرجاني في فائدة النفي بـــ(ما) إذ قلت (مافعلت) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت انه مفعول) [٨]، جاء عن الدكتور فاضل الســـامرائي قوله (إن الجمل التي تحتاج إلى توكيد كثير اســـتعملها القرآن منفيـــة بـــــ(ما) كقوله تعالى: ﴿مَا

(١) ينظر تفسير القرطبي (٨/ ٤٠٢)
(٢) سورة يونس (١٣)
(٣) سورة الكهف (٥٩)
(٤) سورة الشورى (٤٤)
(٥) شرح الرضي (٣/ ٢٣٠)
(٦) ينظر التفسير الكبير (١٧/ ٥٣) و(٢١/ ١٤٢) وروح المعاني (٢٥/ ٣٨٥) .
(٧) البقرة (٥٧)
(٨) دلائل الاعجاز (٩٦)

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١]، وهذا من أهم المواطن التي تحتاج إلى توكيد لأنه في نفي الشرك [٢]. ثم المضارع المسبوق بـ(كان) (لكن كانوا أنفسهم يظلمون) ليفيد استمرار الحدث وتجدده ؛ أي أنهم ظلموا في الماضي ويظلمون في الحاضر وهم مستمرون في ذلك حيث لم يزالوا يعرضوا أنفسهم للعقاب بالكفر والتكذيب فكان الظلم غريزة فيهم، وجاءت لفظة (كانوا) لتؤدي هذا المعنى على أحسن وجه، يقول الزركشي(وحيث أخبر بها (كان) عن صفات الآدميين فالمراد التنبيه على أن فيه غريزة وطبيعة مركوزة في نفسه نحو ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[٣] . ويقول في موضع آخر (ومن هذا الباب حكاية عن النبي (صلى الله عليه وسلم(للفظ (كان يصوم) و (كنا نفعل) وهو عند أكثر الفقهاء يفيد الدوام) [٤].

وتقديم المفعول (انفسهم) للدلالة على القصر وفيه ضرب من السخرية أو قد يكون تأكيداً للضمير المتصل فيكون بمثابة ضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ وأفادت (لكنّ) تقوية المعنى وتأكيده فهي مثل (أنّ) في إفادتها التوكيد[٥] . وقد خلت من (كان) في آية عمران ١١٧ ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وهذا مثل ضرب للعاصين والكافرين لذا خلت من (كان)، فهؤلاء كانت معصيتهم غير مقصودة وهم لم يعرفوا أنهم يعملون إثماً فحالهم ليس كحال بني إسرائيل الذين كان ظلمهم مستمراً وهم يعرفون ذلك . ومثلها في آيات (الاعراف ١٦٠، النمل ٣٣، ١١٨) وكلها في بني إسرائيل وقد خلت من كان آية آل عمران ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ والظالمون هنا زرعوا من غير وقت الزراعة فأصابت زرعهم ريح باردة أو نارٌ فأحرقته وقيل ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية. وفي الآيات التي نزلت في بني اسرائيل جاء (كان) للدلالة على معصيتهم وكفرهم نعم الله واستمرارهم على ذلك، أما في اية آل عمران فكانت في العاصين وهؤلاء كانت معصيتهم غير مقصودة وهم لا يعرفون أنهم يعملون اثماً.

الملاحظ أن (كانوا) المقترن بالمضارع حيث وجد فالخطاب فيه لبنى اسرائيل فكأنّ الظلم كائن مركوز في نفوسهم في حين خلت آية ال عمران من هذا التعبير يقول جل وعلا ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [٦] وهذا

(١) سورة الاعراف (٦٥)
(٢) معاني النحو (١/ ٢٣٠)
(٣) سورة الاحزاب (٧٢) ، البرهان (١٢٥/٤) .
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥) ينظر همع الهوامع (١/ ١٣٣)
(٦) سورة ال عمران (١١٧)

تشـــبيه للكافرين في إهلاك ما ينفقون كمثل مهلك الريح اصابت زرع قوم (ظلموا انفسهم) بأن زرعوا في غير وقت الزراعة فأهلكته الريح تأديبا لهم وما ظلمهم الله في إهلاك زرعهم (ولكن انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا بذلك [١]، فالفرق واضح كما ترى فهؤلاء القوم ظلمهم غير ظلم بني إسرائيل وذنبهم ليس كذنب هؤلاء الذين تعدوا حدود الله وقتلوا الأنبياء وحرفوا الكلام .

٢. الفعل المضارع:

هو كما وضحه ســـيبويه(لما يكون ولم يقع)[٢] أي انه يدل على وقوع الحدث في الزمن الحاضر أو في المستقبل والحقيقة أن الســـياق والمصاحبات اللفظية هي التي تعين على تحديد الدلالة الزمنية وترشحها لزمن معين [٣]. فقد وسع الاستعمال القرآني في دلالة (يظلم) فدَّلت على الزمن المستمر في الآيات:

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٠﴾[٤] .

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٩﴾[٥] .

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾[٦].

تكرر الفعل مقترناً بلام الجحود ومســـبوقاً بـــــ(ما) النافية وهـــذا التركيب يدل على النفي والتوكيد في آن واحد لأن (مـــا) تدل عـــلى النفي ولام الجحود تدل على التوكيد ثم أن الجمع بين صيغتي الماضي (ما كان) والمســـتقبل (يظلمون) يدل على الاســـتمرار فـــ(ليظلمهم) صورته صورة المضارع وهو ماضٍ مســـتمر فالمعنى استمرار النفي وتوكيده أي لا يصح أن يصدر منه سبحانه ذلك اصلاً .

جـــاء في شرح الرضي (مـــا كنت لأفعل كذا: ماكنت مناســـباً لفعلـــه ولا يليق بي ذلك ولاشـــك في هذا معنى التاكيـــد)[٧]، ويقول الزركشي: (إذا قلت: ماكنت أضربك بغير لام جـــاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه فإذا قلت

(١) ينظر مجمع البيان (٢/ ٣٣٣)
(٢) الكتاب :١/ ٢٠٠
(٣) ينظر اقسام لكلام العربي (٢٢٢)
(٤) سورة التوبة (٧٠)
(٥) سورة الروم (٩)
(٦) سورة العنكبوت (٤٠)
(٧) شرح الرضي (٤/ ٦٢)

(ماكنت لأضربك) فاللام جعلت بمنزلة ما لا يكون اصلا) والآيات الثلاث في توبيخ المنافقين والكفار بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم.

ودل المضارع استغراق الزمن الماضي في قوله ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾[١] فلم قلبت المضارع ماضياً ونفتهُ والمعنى كلتا الجنتين أتت غلتها وما نقصت منه شيئا وجملة (لم تظلم) فيها من التوكيد ما لا يخفى إذ المعنى تم في (أتت أكلها) . وجاء (يظلم) للدلالة على الزمن المطلق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٤٤﴾﴾[٢].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾[٣]، فالآية(٤٩) في وصف حال المجرمين يوم القيامة فجاء بالفعل (وجدوا) في صيغة الماضي مع أن الزمن لم يحصل بعد للدلالة على أنه حاصل لا محالة ثم أولا (لا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص الله ثواب محسن ولا يزيد عقاب مسيء، فالفعل دل على الاستقبال لأن هذا المشهد كله يوم القيامة و(لا(لنفي الاستقبال عند جمهور النحاة إلاّ أنها دلّت على الاطلاق في آية يونس (٤٤(، فشملت أبعاد الزمن المختلفة وهي الماضي والحال والاستقبال وقد يراد بها الاستقبال أي ان الله لا يظلم الناس بتعذبيهم يوم القيامة شيئا من الظلم ولكن الناس يظلمون ظلماً مستمراً فيكون المضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والله اعلم، ومثلها في النساء(٤٠) ودل على الاستقبال لاقترانه بالشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[٤] اي في حال توبتكم من الربا لاتنقصون رؤوس اموالكم، وجاء دالاً على الحال في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾[٥]، أي لا يظلم الإنسان نفسه بارتكاب المعاصي في الأشهر الحرم خاصة فربما أدى ذلك إلى ترك الظلم اصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحمية فإنّ الأشياء تجر إلي اشيائها)[٦] واقترن بالشرط ليدل على الاستقبال ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴿١٩﴾﴾[٧] أي من يظلم نفسه منكم ايها المكلفون بالشرك وارتكاب المعاصي (نُذِقْهُ) عذاباً كبيراً، فالعذاب في الآخرة والعمل (ومن يظلم)

(١) سورة الكهف (٣٣)
(٢) سورة يونس (٤٤)
(٣) سورة الكهف (٤٩)
(٤) سورة البقرة (٢٧٩)
(٥) سورة التوبة (٣٦)
(٦) ينظر مجمع البيان (٥/ ٤٣)
(٧) سورة الفرقان (١٩)

في الدنيا فقد يكون دالاً على الماضي ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾[١] . (ومن يظلم) دل على الماضي لأن الاستغفار يكون بعد ارتكاب المعاصي .

٢. المبني للمجهول:

استعمل الفعل ظلم بطرح الفاعل في خمسة وعشرين موضعا في صيغتي الماضي والمضارع ليؤدي دلالة كبيرة في معاني الترهيب في القرآن الكريم وليفيد معنى العموم والشمول، قال تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[٢] فقد دل الظلم على العموم ليشمل جميع أنواع الظلم وللاستثناء في الآية الكريمة دلالة خاصة على اظهار بغض الله جل ثناؤه للظلم وصاحبه لدرجة أنه أباح الجهر بالسوء للقضاء على الظلم وذلك بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكر بما فيه من سوء[٣]. نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾[٤]، وقد يطرح الفاعل للاهتمام بوقوع الحدث بغض النظر عن محدثه ومنه قوله عز اسمه ﴿۞يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١١١﴾[٥]. فقد طوي ذكر الفاعل لأن الغرض يتعلق بالحدث (الوفاء بالأعمال) وهو حدث رهيب زاد في رهبته مجيء لفظة (يوم) نكرة لتؤدي وظيفة مهمة في إظهار الموقف الخفي عن الأنظار، كما أن مجيء الأفعال (تاتي، تجادل، توفي) على بناء المضارع لغرض استحضار هذا اليوم وإحياء عمق تاثيره في النفوس، وجاء النفي بـ(لا) ولم يأت بأدوات النفي الأخرى (لم، لن، ليس) لأنها تستعمل (لنفي الحال والاستقبال والماضي)[٦]. وجاء الفعل (يظلمون) مرفوعاً على وجه الثبات والدوام ؛ أي أن عدله مطلق ثابت وجمع باعتبار المعنى ومثلها قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[٧] فقد استعمل الظلم في هذه الآية الكريمة في سياق النفي أيضاً ليدل على العموم والإطلاق والتعبير بالجمع (الموازين) والمصدر (القسط) و(شيئا (للدلالة على تناهي العدل المطلق فالشيء في اللغة شامل للمعدوم والموجود الواجب والممكن [٨]. واختلف في نصب شيئاً فقد يكون منصوبا على المصدرية أو بفعل محذوف أو بالفعل ظلم.

---

(١) سورة النساء (١١٠)

(٢) سورة النساء (١٤٨)

(٣) ينظر مجمع البيان (٣/ ٢٠٧) وروح المعاني (٦/ ٢٤١)

(٤) سورة الشعراء(٢٢٧)

(٥) سورة النحل (١١١)

(٦) الدلالة الزمنية للجملة العربية (١١٣)

(٧) سورة الانبياء (٤٧)

(٨) ينظر الأصفهاني (٣٥٩) ولسان العرب .

ونصبه على المصدرية أكثر إيفاء للسياق لأن جو الآية كله يوحي بالعموم والشمول. واستعمل لفظ (القسط) ولم يقل (العدل) تماشياً مع (الموازين) كإنما قدر الأمر بالميزان الذي توزن به الأشياء المادية[١].

والمعنى نفي عموم الظلم لكل نفس من النفوس في شيء وإن كان قليلاً جاء بالأعم مع العموم وخصص في مواضع أخرى لأن السياق اقتضى التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[٢]، فالخطاب هنا خاص بالمؤمن لذا جات لفظة (الظلم) مقيدة بـ(نقيرا) وهي اخص من (شيئاً) في الآية السابقة، فالنقير هو الحفرة في ظهر النواة في أعلى التمرة (فلا يظلمون) أي لا يؤخذ من حسناتهم بقدر الحفرة التي في أعلى ظهر النواة من التمرة (فلا يظلمون) على بناء المضارع المعلوم ليقرر الحقيقة فالأعمال انتهت في هذا اليوم (يوم القيامة) حتماً ولكنها هيئت واستحضرت . وهم (لايظلمون) بني للمجهول لأنه يوم غير حاصل لا يعلم وقته ولا كيفيته وهذا نجده كثيرا في القرآن الكريم فعند (الحديث عن الماضي يتحول إلى حاضر شاخص والحاضر يلغى بكلمات ثم يعود ..... فالزمن وحدة متكاملة من البداية إلى النهاية)[٣]. وقيد الفعل مرة بلفظ (فتيلاً) عند مخاطبته تعالى للمشركين والكافرين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[٤] أي لا ينقصون من سيئاتهم بقدر الفتيل (وهو ما يُفتل بين الأصابع من الوسخ ويضرب به المثل في الشيء القليل والحقير).

- **المصدر:**

المصدر هو اسم دال على الحدث مجرد من الزمن والفعل فهو بذلك أعم وأشمل في صحة الأخبار به، لذا وجب حذف فعله لأن الفعل دال على التجدد والحدود [٥] .

للسياق اثر مهم في تحديد وبيان المعاني الوظيفية التي يؤديها المصدر ويمكن أن نتلمس ذلك في التناسب بين السياق وصيغ المصدر للفعل (ظلم) من خلال دلالته على الترهيب . استعمل القرآن الكريم المصدر في(٢٠) موطناً وفي الحالات الثلاث (الرفع،النصب، الجر). فقد جاء مرفوعاً في موضع واحد، قال تعالى ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[٦]، فالظلم هنا جاء بأعلى درجاته لدلالته على الشرك، فقد تضافرت (إن التوكيدية

(١) معجم الفروق الدلالية (٣٤٠)
(٢) سورة النساء (١٢٤)
(٣) هندسة القرآن (٥٢)
(٤) سورة النساء (٤٩)
(٥) ينظر شرح الرضي (١/ ٣٨)
(٦) سورة لقمان (١٣)

+ لام الابتداء + المصدر + الصفة التوكيدية(عظيم) لتناسب دلالة الشرك، فضلاً عن مجيء المصدر (ظلم) مرفوعاً وفي سياق جملة اسمية ليدل على ثبوت الظلم. فالمشرك بالله دائم ظلمه لا يُغْفَر ذنبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴿٤٨﴾﴾ (١)، يقول عبدالقاهر الجرجاني في دلائله:(إن موضوع الاسم على انه يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء)(٢) . وجاء عن الزمخشري في توجيه النساء﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴿٨١﴾﴾(٣): طاعة بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة)(٤) . واستعمل المصدر منصوباً في (٨) آيات، منه قوله عز اسمه ﴿۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴿١١١﴾﴾، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴿١١٢﴾﴾(٥)، فهذا مشهد من مشاهد القيامة لذا اختير من أسمائه(الحيّ، القيوُم) لأن الكلام عن بعث الأموات في هذا اليوم وقد تقطعت الأسباب،)فظلما) الأولى تختلف في الدلالة عن (ظلماً) الثانية لأنها في خطاب المجرمين والكافرين بدليل القرائن اللفظية المصاحبة لها الدالة على الذل والخضوع والانكسار(عنت، خاب، حمل) فالمعانتة: معاندة فيها خوف، جاء في المفردات (يقال للعظم المجبور إذا أصابه ألم فهاضه قد اعنته)(٦) .(والعناة الأسارى ايضا «جمع عاني، والخيبة، تعني فوت الطلب) ووردت في الاستعمال القرآني وصفاً (للمعاندين والمكذبين) (٧)، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴿١٥﴾﴾(٨) ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴿٦١﴾﴾(٩)، وحمل: من حمل الأوزار والأثقال ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾(١٠) ثم أن هذه الأفعال جاءت بصيغة الماضي لتدل على التحقيق والحصول بملحظ من دلالة الماضي المعنوية ولم تتقيد بزمن لتناسب دلالة المصدر (ظلماً) الدالة على الإطلاق ووضع الموصول (من) موضع الضمير في الافعال ليكون أبلغ في دلالة الظلم على الشرك والواو في (وقد خاب) حالية أي: أحضر الكافرون وهم مثقلون بالخيبة أو خائبين، وصُدّر الفعل

(١) سورة النساء (٤٨)
(٢) دلائل الاعجاز (١٢٨)
(٣) سورة النساء (٨١)
(٤) تفسير الزمخشري (١/ ٤٦٨)
(٥) سورة طه (١١١، ١١٢)
(٦) تفسير الزمخشري (١/ ٤٦٨)
(٧) نفسه (٢١٨)
(٨) سورة ابراهيم (١٥)
(٩) سورة طه (٦١)
(١٠) سورة النحل (٢٥)

بـــ(قد) لتقريب الحدث من الحال فبعد أن ذلّت وجوه الكافرين اقترب الحساب، جاء في شرح المفصّل (قد حرف معناه التقريب وذلك انك تقول (قام زيد(فتخبر بقيامه . فيما مضي من الزمن إلاّ أن ذلك الزمان قد يكون بعيداً وقد يكون قريباً من الزمـــان الذي أنت فيه فإذا قرنته بـــ(قد) قربته ممّا انت فيه)[١] اما (ظلماً) الثانية فهى خطاب لتطمين المؤمن في نفي الخوف عنه من الظلم وجاء الفعل (يعمل (بصيغة المضارع و أريد منه المضي قصداً لإحضاره في الذهن فالعمل انتهى في الدار الأولى، والكلام عن الآخرة فكأنّ أعمال العاصين من المؤمنين استحضرت فيطمئنهم الله بأن لا يخافوا من هذا الموقف أن يظلموا (فيزدادوا في ســيائتهم (ولا يهضموا فينقص من حســناتهم)[٢]، يقول ابن هشام إنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء قصداً لإحضاره في الذهن حتى كانه مشاهد حالة الأخبار).[٣]

نخلص من هذا أن الظلم في الآية الأولى بمعنى الإشراك وهو في خطاب الكافرين بالقرائن التي ذكرناها فعقوبة هؤلاء ثابتة فهم في النار خالدون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [٤] .

أمـــا في الاية الثانية فالظلم قد يكون بمعنـــى العصيان فالمؤمن العاصي عقوبته مقيـــدة بوقف لذا جيء بجملة مسندها فعل مضارع دال على التجدد والحدوث والله أعلم . وجاء في قتل النفس و أكل المال بالباطل قوله تعالى: ﴿وَمَـــن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾[٥]، ونظيرها في أكل اموال اليتامـــى قوله جل وعلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾[٦]، فعند التدبر نلحظ الفرق الأسلوبي بين الآيتين، ففي القتل جاء الأمر حقيقياً، وفي أكل اموال اليتامى حضر المجاز فكانت الاســتعارة خير معبر عن ذلك، و أردفت بصورة تمثيلية تصوّر طريقة الأكل وهي الإحساس بالنار لتثير الاشمئزاز، وذكر (في بطونهم) للتأكيد والمبالغة وهذا نظير قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾[٧]، (والقول لايكون إلاّ في اللسان)[٨]. وقد جسد الترهيب أقصى درجات الاحســاس بالرعب فـــ(سعيرا) أكثر تعبيرا من لفظة (النار) وهي(فعيل) بمعنى (مفعول) من سعرت النار إذا أوقدتها فالحرارة التي يتحسسها المرء خارجياً مؤذية فكيف الحال إذا اكتوت حشاياه فتضافر اكل النار أولاً

(١) ينظر شرح المفصل (٨/ ١٤٧) وينظر معاني النحو (الفراء)(٣/ ٢٦٨) .
(٢) ينظر روح المعاني (١٦/ ٧٦)
(٣) مغني اللبيب (٢/ ٦٩٠)
(٤) سورة النساء (٤٨)
(٥) سورة النساء (٣٠)
(٦) سورة النساء (١٠)
(٧) سورة ال عمران (١٦٧)
(٨) روح المعاني (٤/ ٥٧٧)

ودخوله في أحشاء الإنسان ثانيا والنتيجة ثالثا في السعير اعلى درجات النار. جاء المصدر)ظلما(منصوبا إما على الحال من الفاعل أي(يأكلون ظالمين) أو مفعول له لحصول العلة وحدوثها أي (أكله ظلماً) وقيل منصوب على المصدرية أي (أكل ظلم) والنصب على العليّة أرجح إذ يؤكل المال على وجه الاستحقاق كالأجرة والقرض ووظيفة التنكير هنا للدلالة على التخصيص، والله أعلم .

وجاء المصدر مجروراً في سبعة مواطن (النحل٦١، النساء ١٦٠، ١٥٣، الانعام ١٣١، الرعد ٦، هود ١١٧) . ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [٢] .

فالظلم في آية هود بمعنى الشرك وقيل المعاصى كلها [٣]، وهو بمعنى ظالماً لها ولم يأت بلفظ الفاعل تنزيها لذاته، وجاء نكرة للتفخيم والايذان بإن اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله عن ذلك على ابلغ وجه، والنفي في هذه الآية اكد من اية الانعام فقد نفى عز اسمه اصل الظلم عن ذاته باستخدامه أسلوب النفي (ماكان) الدالة على الاستمرار، وجاءت لام الجحود لتوكيد النفي،فقد جاء في شرح الرضي: («ما كنت لأفعل»، ما كنت مناسبا لفعله ولا يليق بى ذلك. . .)[٤] وجاء في البرهان: (إذا قلت ماكنت اضربك بغير لام جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه فإذا قلت: ماكنت لأضربك فاللام جعلت بمنزلة ما لايكون اصلاً)[٥]. وجاء التعليل بالباء التي تفيد المقابلة والثمن فعدم الإهلاك مقابل الصلح،والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس[٦] فاستعمال الإهلاك كونهم مصلحين في اعمالهم، أما في آية الأنعام فاهل القرى (غافلون)، جاء في المفردات (الغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ) [٧]. لذا خلت من لام الجحود وجاء الفعل (يكن) بصيغة المضارع الدال على الحدوث والتجدد ليلائم معنى الغفلة والمعنى أن مصير اهل القرى الهلاك لا محالة إذا استمر اهلها في غفلتهم واصروا على قلة التحفظ، فالخطاب هنا للكافرين يفهم من سياق الآية التي قبلها ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا

(١) سورة الانعام (١٣١)
(٢) سورة هود (١١٧)
(٣) ينظر تفسير الزمخشري (٢/ ٤٣٩) وتفسير القرطبي (٩/ ١٠٥)
(٤) شرح الرضي على الكافية (٢/ ٢٧٠)
(٥) البرهان (١/ ٢٠٦)
(٦) المفردات (٣٧٦)
(٧) نفسه (٤٧٧)

وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [١].

لذا اقتضى السياق استعمال الصيغة الاسمية لأن المقام يقتضي الثبات والاستقرار وعدم توكيد النفي الحاصل على الفعل الناقص، فجاء الكلام جملة خبرية وبالصيغة الاسمية للدلالة على ثبوت الهلاك ماداموا غافلين،اما في سورة هود فالسياق يقتضي استعمال الصيغة الفعلية مع لام الجحود المؤكد للنفي الحاصل على العفل الناقص ليزيد من قوة النفي فالله لا يريد هلاك القرى بظلم لان اهلها مصلحون وجر المصدر بـ(على) في موضع واحد، يقول جل ثناؤه ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾[٢]، والمعنى ان الله لغفور للناس مع كونهم ظالمين والمغفرة هنا بمعني الستر وعدم المعاجلة [٣]. و(على) هنا ادت معنى لم تؤده اللام أو الباء لأن اصل معناها الاستعلاء حقيقة أو مجازاً،واستعملتها العربية في الأفعال المستثقلة والشاقة، كأن الظلم قد علاه فهو يحمل ثقله كما في قولنا: عليه دين أي ركبهُ دين، يقول الرضي)يحمل ثقل الدين على عنقه أو ظهره ومنه على قضاء الصلاة وعليه القصاص لأن الحقوق كأنها راكبة لمن تلزمه) [٤] وعن ابي جني (قد يستعمل في الأفعال الشاقة والمستثقلة تقول: قد سرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان ..... كذلك يقال في الاعتداد على الإنسان بذنوبه وقبح افعاله وإنما اطردت (على) في هذه الأفعال من حيث كانت في الأصل للاستعلاء والتفرع، فلما كانت هذه الأحوال كلفاً ومشاق تخفض الإنسان وتتعبه وتعلوه وتتفرعه حتى يخنع لها ويخضع..... كان ذلك في مواضع على . . . . الا تراهم يقولون هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما تؤثره وعلى فيما يكرهه)[٥].

- **اسم الفاعل:**

يدل اسم الفاعل على الحدث والحدوث والذات التي قامت به فلا يمكن أن تتصور حدثاً غير مقترن بزمن وهذا الزمن يستقاد من القرائن اللفظية والسياق جاء في المقتصد (اسم الفاعل على ثلاثة اضرب أحدها أن يكون لما مضى والآخر أن يكون للحال والتالث ان يكون للمستقبل فالذي يعمل عمل الفعل ما كان للحال او المستقبل دون ما مضى وإنما اعمل اسم الفاعل عمل الفعل لما كان جاريا عليه حركاته وسكونه)[٦]. إنّ الحديث عن اسم

(١) سورة الانعام (١٣١)
(٢) سورة الرعد (٦)
(٣) ينظر روح المعاني (١٣/ ١٣٢)
(٤) شرح الرضي على الكافية (٤/ ٣٢١)
(٥) اللسان (٦/ ٤٢٥)
(٦) المقتصد (١/ ٥٠٥)

الفاعــل وشروط عمله وما فيه من خلافات بين البصريين والكوفيين حديث طويل لســنا بصدده الآن فقد الف فيه الكثير. والذي يعنينا هنا الوصول إلى معرفة القيم الدلالية المتحصلة من التراكيب المختلفة لاسم الفاعل (المنون، المعــرف بأل،المضاف) من خلال تحليل بعض الآيات القرآنية التي ورد بها الجذر (ظ، ل، م(على وزن فاعل . ورد اللفظ(ظالم) مائة وخمساً وثلاثين مرة منها إحدى وتسعون متبوعة بلاحقة جمع المذكر المنصوب وثلاث وثلاثون مرة جمع المذكر المرفوع وتسع مرات من دون لاحقة خمس منها بصيغة مفرد مذكر واربع منهامفردة مؤنثة[١].

اقترن اســم الفاعل بالنفس ثلاث مرات وظلم الإنســان لنفسه له صور كثيرة و درجات فمنه من يظلم نفسه بعدم الشــكر لله، قال عز وجل: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [٢] فقد جاء منونا وفي سياق جملة حالية متصدرة بالواو ومعلوم أن الجملة الحالية تدل على زمن الحال وان الواو كما يقرر النحاة تدل في الأغلب على الوقت وهي بمعنى (إذ)، يقول ســيبويه في شرحه لقوله تعالى: ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةَۭ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُــهُمۡ﴾[٣] فإنما وجهــوه على انه يغشى طائفة منكم وطائفة في هذه الحال كأنه قــال إذ طائفة في هذه الحال (فإنما جعله وقتا) [٤]. وايضــاح ذلك انك تقول:مــا بالك وأنت تركض كأنك قلت مابالك حين تركــض .[٥] ومعلوم أيضا أن التنوين يدل على المســتقبل حيث ذهب الفراء في تفســير قوله تعالى: ﴿نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [٦]، يقول (ولو نونت في «ذائقة» ونصبت «الموت»كان صوابا واكثر ماتختار العرب التنوين والنصب في المســتقبل فإذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون إلاّ بالإضافة، فأما المستقبل فقولك انا صائمٌ يوم الخميس إذا كان خميسا مستقبلاً)[٧]. فيكون ظالم دالاً على الحــال ايضاً والفعل دخل و إن جاء على صورة المــاضي إلاّ أنه دل على زمن الحال ايضاً والمعنى في حال دخوله لجنته أصابه الزهو والكبر ونسى أن الله هو الذي أنعم عليه فظلم نفســه بعدم شــكره وتواضعه لله حتى أنه قال (ما أظن أن تبيد هذه ابداً)، وفي صورة أخرى من صور ظلم الإنســان لنفســه قوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [٨]، وللمفسرين في معنى الظالم هنا عدة توجيهات: الكافر، الفاسق، العاصي، المرتكب لذنوب صغيرة، أصحاب المشامة، الذي خلط عملاً صالحاً

(١) ينظر الفاظ الظلم والعدل في القران الكريم :٨٥.
(٢) سورة الكهف (٣٥)
(٣) سورة ال عمران (١٥٤)
(٤) الكتاب (١/ ٩٠)
(٥) معاني النحو (٢/ ٢٦٠)
(٦) سورة الانبياء (٣٥)
(٧) معاني القرآن (٢/ ٢٠٢)
(٨) سورة فاطر (٣٢)

بآخـــر سيء، الجاهل التالي القرآن غير العالم به المنافقون.... وهذه كلها معان ذات دلالات متفاربة لانســـتطيع أن نرجح واحدة منها على الأخرى لتعميم اللفظ وعدم اتســـاقه بسياق معين او بظرف خاص، وقد علق الزمخشري في شرحه لهذه الاية قائلا: (فإن قيل لِمَ قدم الظالم ثم المقتصد ثم الســـابق قلت للإيذان بكثرة الفاســـقين وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالإضافة اليهم والسابقون اقل من القليل)[١]، وقيل انهم يقدمون الأدنى في الذكر على الأفضل قال ســـبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ [٢] لقد جيء بالاسم ولم يقل (من ظلم) للدلالة على التصاق الصفة بموصوفها وثبوتها فكأن الظلم ثابت فيهم لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبوت. ومثلها في الصافات (١١٣) .

واســـتعمل مفردا معرفا بأل في قوله عز اســـمه: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾[٣]، فـــ(ال) هنا اما جنســـية فتعم على كل ظالم او عهدية [٤]، فاسم الفاعل دل على الاستمرار والإصرار فالظالم قد ظلم فيما مضي واستمر في ظلمه إلى يوم الحساب ليعلن ندمه وتحسره على ما مضى .

وجاءت الصيغة مجموعة جمع سلامه ومضافة إلى معمولها في قوله **تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾[٥]، الآية كانت بحق رجال من قريش أسلموا ثم فتنوا فخرجوا لمحاربة المسلمين فوصفهم عز اســـمه بـــ(ظالمي انفسهم) والذي عليه معظم النحويين، أن اسم الفاعل المجرد من (ال) والتنوين إذا أضيـــف فاضافته لفظية تفيد التخفيف، يقول ســـيبويه (واعلم أن العرب يســـتخفون فيحذفون التنوين ولا يتغير من المعنـــى شيء)[٦]، وذكر الزمخشري عند شرحه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾[٧]، (وقُرئ (منذر) بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاســـتقبال)[٨] فعلى رأي ســـيبويه علينا أن نقرأ الآية (ظالمين انفسهم) ولا يتغير المعنى وهذا أمر مستبعد لأن القرآن الكريم لا يستعمل اسلوبا معيناً إلاّ ويريد منه معنى خاصـــاً ونحن نرى أن الأضافـــة هنا أعطته معنى الإلصاق وتحقق وقوع الفعل فهم مســـتمرون ومصرون على ظلم أنفسهم باختيارهم مجاورة الكفرة إلى أن يحين أجلهم وتقبض ارواحهم فيكون مصيرهم (جهنم)، في حين لا يتحقق

(١) تفسير الزمخشري (٣/ ٦٣٤)
(٢) سورة الملك (٢)
(٣) سورة الفرقان (٢٧)
(٤) والمراد بالظالم هنا عقبة بن ابي معيط وخليله امية بن خلف اللذان آذا رسول الله ﷺ
(٥) سورة النساء (٩٧)
(٦) الكتاب (٤/ ٥٠)
(٧) سورة النازعات(٤٥)
(٨) تفسير الزمخشري : ٥٤٣/٤.

هذا المعنى عند الفصل فقد يدلُ على عدم تحقق وقوع الفعل، أو أنه سيتحقق في المستقبل مثل أن أقول زيدٌ ضاربٌ عمـــرا وزيدُ ضاربُ عمرو، فالضرب في الجملة الأولى لم يحصل وقد لا يحصل ابداً، أما الجملة الثانية فدلت على تحقق الضرب وحصوله في الماضي، ومثلها في ســـورة النحل (٢٨) . وفي عظيم الكذب والافتراه قال عزّ اســـمه: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٩٤﴾﴾ [١]، جاء اسم الفاعل صلة لأل،وفي سياق جملة اسمية ليدل على ثبوت صفة الظلم فيهم،فالاسم أثبت من الفعل فضلاً عن أنه جاء مرفوعا والرفع أقوى واثبت من النصب لأن الضمة تعني الإســـناد والفتحة تعني الفضلة والكسرة تعنـــي الإضافة، فيقول ابن يعيش: (والضمة، أقـــوى من الفتحة لأنّ الضمة من الواو والفتحة من الألف والواو اقوى من الألف لأنها أضيق مخرجاً.... فناســـبوا بأن أعطوا الأقوى والأضعف)[٢] .

يتضح لنا من خلال اســـتقراء الآيات أن اســـم الفاعل حـــين يأتي مرفوعا فإنما يدل على قـــوة المعنى وأهمية الحـــدث الذي يريده عـــز وجل كما في الايات التي ذكرناها وكما في قوله عز اســـمه مخاطبا الكفار الذين كذبوا بايات الله ودلائله ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّـــمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْـــبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴿٩٩﴾﴾ [٣]، فالرفع يأتي مع الكبائر كالكفر والاشراك بالله والافتراء على الله، يقـــول جلّ ثناؤه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُـــمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٢٥٤﴾﴾ [٤]، وقوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْـــتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِـــحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٢١﴾﴾ [٥]، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِـــذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْـــتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَـــن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُـــونَ﴿٢٣﴾﴾ [٦]، ومنها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْـــخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَـــكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُـــونَ﴿١١﴾﴾[٧]، ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُـــولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٥٠﴾﴾[٨]، ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُـــمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ

(١) سورة ال عمران (٩٤)
(٢) شرح المفصل (١/ ٧٤)
(٣) سورة الاسراء (٩٩)
(٤) سورة البقرة (٢٥٤)
(٥) سورة الانعام (٢١)
(٦) سورة التوبة (٢٣) .
(٧) سورة الحجرات (١١)
(٨) سورة النور (٥٠)

أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴿١١﴾﴾[1] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴿١٤﴾﴾ [2]

اما في حالة النصب والجـــر فغالبا ما يأتي مع الصغائر فيكون صفة للعاصين وفي الأغلب يأتي تقريرا لمضمون الجملـــة التي قبلهـــا أو إظهارا لندم العاصي أو مع ظلم النفس بارتكاب الذنب مـــن غير معصية وذلك لآدم وحواء عندما أكلاً من الشجرة ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٣٥﴾﴾ [3]، فقد قيل في توجيه الاية أن هذا النهي نهي التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس في الطرقات) [4]. فظلم آدم وحواء ليس كظلم المشرك والكافر أو المفـــتري او ظلم قتلة الأنبياء . وغالبا ما يأتي تذييلاً تتميماً للمعنى وليس تقرير حكم وهذا ما يتضح في الايات الاتية كقوله عز اســـمه ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿١٤٠﴾﴾[5]، ومنها قوله ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٤٠﴾﴾[6]، او اظهاراً للندم ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴿٩٧﴾﴾[7]، ومثلها في الايات (القلم، الأنســـان ٣١، الشعراء ٢٠٩، غافر ٥٢، العنكبوت ٣١، الانبياء ٤٦، ١٤) .

لم يرد اسم الفاعل مجموعاً جمع تكسير فلم يذكر (ظَلْمَة) أو (ظُلَّام) كما في (كَفَرةً- كُفّار) ولعل السبب في ذلك أن جمع التكسير يبعد اللفظ عن الفعلية وبالتالي يبعده عن الحدث، أما جمع المذكر فإنه يدل على القلة لكنه يقرب اللفظ عن الفعلية فيقربه من الحدث نقول مثلاً (العلماء غير عالمين، العلماء جمع تكســـير يراد به الأشخاص فقط، وعالمين جمع مذكر ســـالم دل على القلة فضلاً عن أنه قرب اللفظ من الحدث وفي ذلك يقول ابن يعيش (فكل ما كان أقرب إلى العقل كان من جمع تكسير ابعد وكان الباب فيه أ ن يجمع جمع سلامة)[8] .

- **صيغ المبالغة:**

اســـماء تشـــتق من افعال للدلالة على معنى ولها ابنية حددها النحاة كـــ(فَعّال) و(فُعُول) و (مِفْعال)، ولكل بناء

(١) سورة الممتحنة (٩٠)
(٢) سورة العنكبوت (١٤)
(٣) سورة البقرة (٣٥)
(٤) مجمع البيان (١/ ١٢٤)
(٥) سورة ال عمران (١٤٠)
(٦) سورة الشورى (٤٠)
(٧) سورة الانبياء (٩٧)
(٨) شرح المفصل (٥/ ٢٤)

منهـــا معنى يختلف عن الاخر، جاء في حاشـــية الصبان (إن المبالغة تفيد التنصيـــص على كثرة المعنى كماً أو كيفاً ولكن هل هي مستوبة في المعنى أو متفاوتة بأن تكون الكثرة المستفادة من فَعَال مثلاً اشد من الكثرة المستفادة من فعـــول..... وقد يؤخذ من قولهم: زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ابلغيه (فُعَّال) و (مِفْعَال)على (فُعُول) و(فَعِيل) و أبلغية هذين على (فُعِل) فتدبر)[١] . لقد ذكر القرآن الكريم البناءين: فعالاً وفعولاً فقط لمادة (ظلم) وســـنتدبر هنا سياقات استعمالها في النص القرآني:

١ . فُعَّـــال: تدل هذه الصيغة على معنين أولهـــما: التكرار والكثرة وثانيهما:النســـب والحقيقة أن هذين المعنين يحمـــلان دلالة واحدة بملحظ مـــن المزاولة والكثرة فيقال لمحترف النجارة مثلاً: نجـــار وانما قيل له كذلك لكثرة اشـــتغاله بها، قال الرضي (فُعَّال الذي بمعنى لا يجي ء الا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه. . .اما من جهة البيع كبقال أو من جهة القيام بحالة كالحمال. . . . .او باستعمالهن)[٢] .

- **وردت صيغة (ظلام) في خمس آيات هي:**

أ- آل عمران (١٨٢) ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ١٨٢﴾.

ب- الانفال (٥١) ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ٥١﴾ .

ت- الحج (١٠) ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ١٠﴾.

ث- فصلت (٤٦) ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ٤٦﴾.

ج- ق (٢٩) ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ٢٩﴾.

نلاحـــظ في الايات وجـــوه من توكيد النفي هـــي (إن التحقيقية والباء الزائدة المقترنة بخـــبر ليس وما التي تفيد التوكيـــد وصيغـــة المبالغة (ظلام) فـــما قيمة ذلك في الســـياق ؟ لقد نفى جل ثنـــاؤه الظلم عن نفســـه بـــ(ليس) ثـــلاث مرات وبـ(ما) مرتين و ليس كما يقرر النحاة تســـتعمل لنفي الحال عند الإطلاق واذا قيدت فبحســـب ذلك التقييـــد [٣]. واعملت (ما) عمل ليس في لغة اهـــل الحجاز وكلتاهما لنفي الحال ولكنها أقوى في التوكيد من ليس، جاء في الاشباه والنظائر(النفي فيها اكد) [٤] . فقد ورد خبرها مقترنا بالباء الزائدة الدالة على التوكيد في ستة وسبعين موطناً، ووردت في ثلاثة مواطن فقط غير مؤكد بالباء الزائدة وجاءت في ســـياق القسم في مواطن كثيرة، والقسم لا يُخفـــي ما فيه من التوكيد.ودخلت عليها ما الزائدة في واحد وتســـعين موطنا)، اما ليس فقد جاء خبرها مقترناً بالباء

(١) ينظر حاشية الصبان (٢/ ٢٩٦) ومعاني الابنية (٩٣)

(٢) ينظر شرح الرضي : ٨٤/٢.

(٣) ينظر شرح المفصل (٧/ ١١٢)

(٤) الاشباه والنظائر (٢/ ٦٢)

الزائدة في ثلاثة وعشرين موطناً وجرد منها في خمسة مواطن ولم تدخل من المؤكدة على مواطن منها [١]، فضلاً عن ان ليس استعملت استعمال الأفعال فالجملة المبدوءة بها فعلية والجملة المنفية بـ(ما) اسمية والجملة الاسمية اثبت أن الخطاب في آية آل عمران موجه إلى اليهود كونهم قالوا إن الله فقير يحتاج إلى العطاء فرد كيدهم بأن ذكر اسمه تعالى لتعيين القيمة المطلقة لذاته ودحض افتراءاتهم وذكر(ظلام) وهو للتكثير والمبالغة تاكيداً لنفي الظلم عن نفسه، فإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها فنفي ظلام لهذا المعنى نفي لـ(ظالم) وهو نفي متضمن معنى لثبوت ضده اي لكمال عدله عز وجل)، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[٢] لكمال مراقبته وفي القاعدة (لا يوجد في صفات الله نفي محض بل كل ما نفى الله عن نفسه فهو متضمن لكمال) فالمبالغة باعتبار الكمية لا الكيفية لتلائم لفظ (العبيد)، جاء في روح المعاني: (وانما كثر توزيعا على الآحاد كأنه قيل ليس لفلان ولا بظالم لفلان وهكذا فلما جمع هؤلاء عدل إلى ظلام لذلك)[٣]، أما في اية فصلت فالخطاب عام للصالح والمسيء لذا جاء الفاعل (ربك) وهي لفظة تودية لما فيها من معنى التربية والرعاية والحفظ ولأن السياق اقتضى ذلك فالايات التي قبلها كان الخطاب بلفظ الرب ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾[٤]، وقوله عز وجل ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾ [٥].

وجاء في أية (ق) وجه آخر من وجوه التوكيد وهو ضمير المتكلم (انا) مشعرا بالعظمة والقدرة، فقد تحدثت الاية عن موقف بين يدي الله مباشرة وأخبرت عن حال الخلق بعد البعث﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ [٦].

فكانت مشاهد القيامة أكثر وطأة على الكفار فقد حاولوا التشبث بأية تهمة يرمونها على قرنائهم ليخففوا عن انفسهم العذاب وكان جوابه عز وجل (ما يبدل) أي الذي قدمته لكم في دار الدنيا في اني أعاقب من جحدني لا

(١) ينظر معاني النحو (١/ ٢٣٠- ٢٣١)
(٢) سورة البقرة (٧٤)
(٣) روح المعاني (١٠/ ٣٠٠)
(٤) سورة فصلت (٤٣)
(٥) سورة فصلت (٤٤)
(٦) سورة ق (٢١-٢٨)

يُبدل بغيره وبُني الفعل للمجهول للدلالة على سرعة وقوع الحدث وجيء على بناء المضارع لغرض استحضاره في النفوس كأنه مشـــاهد فكان ابلغ في التعبير عن الخوف في ذلك اليوم العظيم، ثم أعلن عز اسمه رد الظلم عن نفسه بقوة فقد نفاه اولاً بـــ(ما) التي هي اكد الأدوات وبالباء الزائدة ثانية وبالجملة الاسمية التي تدل على الدوام والثبات ثالثا وسبقت بحرف العطف (الواو) وعطفت على جملة فعلية فكان العطف مغايراً مما زاد في توكيد النفي واستعمل لفظ (العبيد) بمعنى العبودية القهرية ليوافق دلالة الظلم السلبية فقد يكون العبد منكرا لوجود الله او مشركاً أو عاصياً ولم يقل (العباد) التي تدل على صفوة المكرمين يقول جل ثناؤه(**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**) [١]، وحيثما وردت دلت على هذا المعنى، فقد ذكرت

مايقـــارب المائة مرة بمعنى الصفـــوة التي اختارت مراد الله على مرادها،اما لفـــظ (العبيد) فلم تذكر إلا في هذه الآيات الخمس مقرونة بـــ(الظلم).

٢- **فعـــول**: صيغة فعول تعطي معنى الدوام على الفعل وكثرته وقوة الفاعـــل عليه فهذا(البناء في المبالغة منقول من اســـماء الذوات فإن اســـم الشيء الذي يُفْعل به يكون على (فعول) غالباً كالوضوء والوقود والسّحور والغسول والبخور، فالوضوء هو الماء الذي يتوضأ به، والوقود هو ما توقد به النار، والســـحور لما يتســـحر به .... وكذا أكثر الأدوية تبنى على فعول كاللعوق والسعوط [٢]، ومنه استعير البناء للمبالغة فقيل صدوق، كذوب، جزوع .

جاء لفظ (ظلوم) في النص القرآني في موضعين صفة للانســـان، الموضع الأول في سورة الأحزاب ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [٣]، فقد عُرضت الأمانة أولاً على الأوســـع (السماوات) فالأـــصغر (الأرض) ومن ثم اثقل ما في الأرض (الجبال) فهذه الموجودات القوية (أشفقن) من حملها وحملها الإنسان هذا الكائن الضعيف، وفي ذلك يقول الزمخشري (ان ما كلفه الانســـان بلغ من عظمة وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام واقواه واشده أن يتحمله ويســـتقبل به فأبى حملة واشفق منه .وحمله الانســـان على ضعفه ورخاوة قوته (إنه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الأمانـــة ثم لم يفِ وضمنها ثم خاس بضمانه)[٤] . تصدرت الاية بـــ(إن) لتأكيد المبالغة في الظلم وجاءالفعل (كان) الدال على المعنى الاستمراري ليؤدي وظيفة الدوام وعدم الانقطاع فالمعنى أن الإنسان خلق ظلوماً فكأنه مادة معدة للظلـــم لأن من عادته أن يظلم فالذي لا يظلم أحداً قد يظلم نفســـه إلى جانب توكيد صفة الظلم بصيغة مماثلة لها

(١) سورة الانبياء (٢٦)
(٢) ينظر معاني الابنية (١٠٠)
(٣) الأحزاب (٧٢)
(٤) تفسير الزمخشري (٣/ ٥٨٨)

(جهولا) والله اعلم .

اما الموضع الثاني فقد جاء في سورة ابراهيم يقول عزّ وجل ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[1]، حيث عدد عز اسمه بعض انعمه لكفار قريش وبين أنها لا تحصى ومع ذلك فـ(أن الإنسان لظلوم) دائم الظلم كثير قوي على فعله ينقص حق الله وحق نفسه [2]، واردف هذا المعنى بصيغة فعال (كفار) شديد الكفران والجحود مستمر على ذلك يزاوله كأنُ الجحود حرفته وصنعته.

والفرق بين هذه الآية وآية الأحزاب أنه عز وجل جاء باللام لتوكيد الاثبات (لظلوم) فاجتمعت مع (إن) لتؤدي وظيفة المبالغة والتاكيد، فالانسان هنا ظلم بعدما ايقن وابصر وحس بلذة انعم الله بخلاف الظلم المذكور في آية الأحزاب فالانسان فيها قبل الأمانة وهو يجهل العاقبة ولم يعرف النعم بعد (إنه كان ظلوما جهولا) فخلت من اللام وجاءت اللفظة بالرفع لتقوي معنى الثبات و الاستقرار والدوام فالضمة أقوى من الفتحة، يقول ابن جني (الذِل في الدابة ضد الصعوبة والذُل للانسان وهو ضد العز كانهم اختاروا الضمة لقوتها للانسان والكسرة لضعفها للدابة).

❊ ❊ ❊

(١) سورة ابراهيم (٣٤)

(٢) ينظر روح المعاني (١٣/ ٨٨٨، ٢٩٢)

الخاتمة

وبعد نستطيع أن نخلص إلى بعض النتائج المستقاة من البحث:

١- ان الفعل المضارع (يظلمون) المقترن بـــ(كان) وجد فيه الطالب فيه صفة لبني اسرائيل كما في الآيات (الاعراف ١٦٠، النمل ١١٨،٢٣)، اما إذا خلا الفعل من كان فالخطاب موجه للعاصين الذين ذنبهم ليس كذنب اليهود .

٢- كشف البحث بالتحليل الدلالي لبعض الايات ان الفعل (ظلم) قد يطوى فاعله ليؤدي دلالة كبيرة في معاني الترهيب وجاء مطلقا أحيانا ومقيدا أخرى على وفق الايات (الانبياء ٤٧، النساء٤٩، ١٢٤).

٣- للسياق اثر مهم في تحديد وبيان المعاني الوظيفية التي يؤديها المصدر من خلال دلالته على الترهيب فقد جاء فى سياق جملة خبرية وبالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات وجاء في سياق الصيغة الفعلية مع لام الجحود المؤكد للنفي الحاصل على الفعل الناقص (كان) ليزيد من قوة النفي

٤- اتضح لنا من خلال استقراء الايات أن اسم الفاعل من الجذر (ظلم) حيث يأتي مرفوعا فانما يدل على قوة المعنى واهمية الحدث الذي يريده عز وجل فالرفع للكبائركالكفر والاشراك بالله، أما في حالة النصب والجر فغالبا ما يأتي مع الصغائر من الذنوب كأن يكون صفة للعاصين او تقريرا لمضمون الجملة التي قبلها او اظهار الندم

٥- لم يرد اسم الفاعل مجموعا جمع تكسير ولعل السبب في ذلك ان المذكر يبعد اللفظ عن الفعلية وبالتالي يبعده عن الحدث.

٦- جاء الاستخدام القراني لصيغ المبالغة من الجذر (ظلم) في بناءين(فعال) و)فعول) وكان البناء الأول أكثر استخداما فقد تكرر في خمس آيات مقترنا بلفظ العبيد(بمعنى العبودية القهرية ليوافق دلالة الظلم السلبية ولم يعمل في اسم ظاهر وإنما جاء عاملا بمفعول مقدر ويتعدى بحرف الجر(الباء(.

٧- يختار القرآن الكريم البناء قاصدا لفظه ومعناه في موقعه المحدد لذا نجد أن السياق القراني يعدل من صيغة إلى اخرى لموافقة المعني المقصود من الاية .

ومن الله التوفيق ..

المصادر والمراجع

١ .القرآن الكريم .

٢ .الأشباه والنظائر في النحو / للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مكتبة عالم الكتب ط٣، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ .

٣ .اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، تأليف د. فاضل مصطفى الساقي، تقديم د. تمام حسان، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الخانجي بالقاهرة، ١٣٩٧، ١٩٧٧ .

٤ .الفاظ الظلم والعدل في القرآن الكريم (دراسة لغوية)، رسالة ماجستير، وداد عبد الحسين عمران الحسني، كلية الاداب - جامعة بغداد .

٥ . البحر المحيط لابي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي الغرناطي الشهير بابي حيان، ط١ سنة ١٣٢٨ هـ - مطبعة السعادة مصر .

٦ .البرهان في علوم القرآن الزركشي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط الثانية (د. ت)

٧ .التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الثالثة .

٨ .الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، راجعه وعلق عليه د. محمد ابراهيم الحفناوي، ود. محمود حاد عثمان، دار الحديث - القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ منجار - مطبعة دار الكتب المصرية .

٩ .حاشية الصبان على شرح الاشموني، دار احياء الكتب العربية .

١٠ .الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار - مطبعة دار الكتب المصرية

١١ .دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ط٣ - دار المنار بمصر سنة ١٣٦٦هـ .

١٢ .الدلالة الزمنية للجملة العربية في القران الكريم، د. نافع علوان بهلول الجبوري، ط١، ٢٠٠٩، جمهورية العراق، ديوان الوقف السني .

١٣ .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لابي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي - قابلها على المطبوعة المنبرية وعلق عليها محمد احمد الالوسي وعمر بن عبد السلام السلامي، دار احياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي ببروت لبنان / ط١، ١٣٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤ .شرح الرضي على الكافية لمحمد بن الحسن الرضي الاستربادي، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر،

مؤسسة الصادق للطباعة والنشر – ايران – طهران .

١٥.شرح المفصل للشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي – عالم الكتب – بيروت (د.ت)

١٦.كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق – مكتبة المثنى – بغداد .

١٧.الكشـــاف عن حقائــق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لابي القاســم جار اللــه محمود بن عمر الزمخشري، شرح يوسف الحمادي / مكتبة دار مصر للطباعة (د. ت)

١٨.الكليات لابي البقاء الحسيني اللغوي، بولاق ط٢ .

References:

1.The Glorious Quran

2.Al-Baghdadi, Al-Aloosi Mahmood (1999) Ruh Al-Ma'ani fi Tafseer Al-Quran Al- Aadheem wa Sab'ul Mathaani. Beirut: Dar Ihyaa Al-Turaath Al-Arabi.

3.Ibn Jinni Al-Khasa'is. Edited by Al-Najjar Muhammad. Dar Al-Kutub Al-Masriyya.

4.Ibn Ya'ish, Muwafaq ul-Din. Sharh ul Mufassal. Beirut: Aalam ul-Kutub.

5.Al-Ghirnaati, Abu Hayaan Muhammed Bin Yousif (1328 H) Al-Bahr Al-Muheet.1st Edition. Cairo:Al-Sa'aada Press

6.Al-Hasani, Widaad. "Alfaz Al-Dhulm wa-l Adl fi AlQuran Al-Kareem". Unpublished M.A. Thesis. Baghdad University.

7.Al-Husseini, Abu l Baqaa. Al-Kuliyyat. 2nd edition. Cairo: Bulaaq.

8.Al-Istrabaadi, Muhammad Bin Hassan. Sharhu-l Radhi ala-l Kamina. Verified by Umar, Yousif. Tehran: Al-Sadiq Corporation for publishing.

9.Al-Jubouri, Nafi' (2009) Al- Dilaala Azzamaniya lil Jumla Al-Arabiya fi-l Quran Al-Kareem.1st Edition. Bagdad: Diwan Al-Waqf Al-Sunni.

10.Al-Jurjaani, Abd-ul Khahir (1366H) Dala'il ul I'Jaaz.3rd. Edition. Cairo: Dar- ul Manaar.

11.Al-Qurtubi, Abu Abdu-llah Muhammad (2007) Al-Jami' li Ahkam Al-Quran. Revised by Al-Hafnawi, Muhammad and Othman, Mahmood. Cairo: Dar Al-Hadith

12.Al-Razi,Al-Fakhr. Al-Tafsir Al-Kabir.3rd Edition. Maktab Al-I'laam Al-Islami

13. Al-Saban, Hashiyatul-Sabban alaa Sharh Al-Asmooni. Dar Ihyaa Al-Kutub Al-Arabiya

14. Al-Saqi, Fadhil(1977) Aqsaam Al-Kalam Al-Arabi min Haith al-Shakl wa-l Wadheefa. Cairo: AlKhanachi Press

15. Sibawayh. Al-Kitab. Boolaq Edition. Baghdad: Al-Muthanna Library.

16. Al-Siyooti,Jalal u-ddin (2003) Al-Ashbaah wa-l Naaza'ir fi Al-Nahoo. edited by Makram, Abdul Aal. Aalam alkutub Library.

17. Al-Zamakhshari, Abu-l Qasim Jaar u-llah. Al-Kashaaf ah Haqaa'iq Al-tanzil wa Uyoon-ul Aqaweel. Cairo: Dar Masr Press

18. Al-Zarkashi(1957) Al-Burhan fi Uloom Al-Quran. 1st Edition. Edited by Ibrahim. Cairo: Dar Ihyaa Al-Kutub Al-Arabiya.

❊ ❊ ❊